

حركة الأرض المقدسة السلمية

د. محمد ربيع

حركة الأرض المقدسة السلمية (الحركة) هي تنظيم سياسي عربي يهودي مشترك يسعى لتحقيق هدف واحد فقط: إقامة دولة ديمقراطية علمانية واحدة على كامل التراب الفلسطيني، يعيش فيها عرب فلسطين ويهودها في سلام بوصفهم مواطنين يتمتعون بحقوق متساوية. ومن أجل تحقيق هذا الهدف، سوف تشارك الحركة في الانتخابات الإسرائيلية والفلسطينية كتنظيم سياسي، وتعمل على الترويج لفكرة الدولة الواحدة ضمن القنوات الإعلامية والقوانين السائدة. وفي ضوء التزامها بهدف واحد، فإن الحركة سوف تمتنع عن طرح مبادرات ذات طبيعة اجتماعية أو اقتصادية كي تفتح المجال لكل من يؤمن بالتعايش السلمي من الأفراد والجماعات والأحزاب كي ينضوي تحت مظلتها، مع الاحتفاظ ببرامجه الاجتماعية والاقتصادية الخاصة.

إن فشل الجهود الثنائية ومتعددة الأطراف في التوصل إلى حل سلمي للصراع على مدى ربع قرن من المباحثات المتواصلة، جعل من الضروري ميلاد رؤية جديدة وأسلوب عمل جديد للتعامل مع هذه المعضلة، وتحقيق سلام شامل ودائم في فلسطين. وفيما كانت "عملية السلام" تراوح في مكانها، كانت حركة الاستيطان في الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام 1967 تسارع الخطى، ما جعل عدد المستوطنين يتجاوز 700 ألف مستوطن، وهذا تسبب في وأد عملية السلام، وجعل مشروع الدولتين غير قابل للتطبيق. إذ فيما لا يجرؤ زعيم إسرائيلي على تفكيك المستوطنات، لا يجرؤ زعيم فلسطيني على التنازل عن "حق العودة" بالنسبة للاجئين الفلسطينيين الذين أجبروا على ترك بيوتهم منذ عام 1947. ومع فشل المباحثات، فإن معظم اليهود والعرب المؤمنين بالتعايش السلمي فقدوا الأمل، فيما كسب المتطرفون على الجانبين فرصة نادرة للترويج لبرامجهم الداعية إلى إقصاء الآخر وإلغاء حقه ووجوده أحياناً؛ الأمر الذي تسبب في تعرض كل شعوب المنطقة لخطر جسيم.

في ضوء إيمان حركة الأرض المقدسة بأن استمرار الصراع بين يهود فلسطين وعربها يشكل أخطر التحديات التي تواجه الشعبين، فإن الحركة ترى أن هدف إنهاء الصراع لا بد وأن يحظى بالأولوية. لهذا قررت الحركة أن تمنح كل شخص، بغض النظر عما يؤمن به من أفكار، حق العضوية فيها، شريطة أن يلتزم بهدف إقامة دولة عربية يهودية علمانية واحدة على كامل التراب الفلسطيني، وأن يسهم في برامج التوعية الجماهيرية التي تستهدف تغيير رؤية كل طرف من أطراف الصراع للآخر، واقتناع محبي السلام في العالم بدعم الحركة، وصولاً إلى إقامة الدولة المنشودة.

نتيجة لهذه الرؤية وحقائق الواقع التي تسير من سيئ إلى أسوأ، ندعو جميع المثقفين والناشطين السياسيين والملتزمين بمبادئ الحرية والعدالة وحقوق الإنسان في العالم، خاصة العرب واليهود، إلى الانضمام لعضوة حركة الأرض المقدسة هذه، والعمل على إقامة دولة واحدة على كامل التراب الفلسطيني، تكون وطناً لليهود وعرب فلسطين، يتمتع مواطنوها بحقوق وواجبات متساوية، ويعيشون في سلام في دولة ديمقراطية علمانية منزوعة السلاح.

ومن أجل ضمان حقوق كافة فئات المجتمع في المشاركة في العملية السياسية، فإن حركة الأرض المقدسة قامت بتطوير معادلة ديمقراطية مُبتكرة تضمن المساواة في الحقوق والواجبات، وفصل السلطة التنفيذية عن السلطة التشريعية، والحيلولة دون سيطرة المال على السياسة. لهذا تدعو المعادلة الديمقراطية المقترحة إلى تقاسم السلطة السياسية بين جميع أفراد المجتمع ومنظمات المجتمع المدني الرئيسية على كلا الجانبين، العربي واليهودي. وهذا من شأنه أن يُحوّل فلسطين إلى وطن مشترك لشعبين يعيشان في سلام، ويجعل النموذج الفلسطيني مثلاً يحتذى به عالمياً، في مقدوره تمكين الشعوب التي تعاني نكبات التفرقة والطائفية من حل مشاكلها بطرق سلمية والعيش بسلام ضمن حدود وطن مشترك.

وفي سياق هذا التفكير، فإن حركة الأرض المقدسة قررت أن تكون منظمة عالمية تقوم على العضوية المفتوحة، وأن يكون لديها عضوية عاملة وأخرى مساندة. ومع أن حق المشاركة في العملية السياسية سيكون محصوراً في العضوية العاملة، إلا أن حق المشاركة في لجان العمل المتعددة مضمون لكل عضو مساند. أما رسم العضوية فيدفع مرة واحدة لعضوية تستمر مدى الحياة، وإن لكل شخص الحق في تحديد رسوم عضويته، على أن لا يقل المبلغ عن 100 دولار. وتحدد النقاط التالية أهم المبادئ التي تقوم عليها الحركة، وأهم الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها:

1. إقامة دولة متعددة الثقافات والديانات في فلسطين يكون من حق يهود إسرائيل وكل عرب فلسطين أن يعيشوا فيها جنباً إلى جنب في سلام، متساوين في الحقوق والواجبات.
2. اسم الدولة المقترح: "دولة الأرض المقدسة الفلسطينية" (*The Holy Land State of Palestine*)
3. كتابة دستور للدولة الجديدة يضمن مشاركة الشعبين في السلطة بشكل دائم، وتقاسم السلطة التنفيذية بين رئيس الدولة ورئيس الوزراء، وفصل السلطتين التنفيذية والتشريعية عن بعضهما البعض.
4. أن يقوم الشعب بانتخاب رئيس الدولة ومجلس النواب مباشرة، وأن ينتخب مجلس النواب رئيس الوزراء من خارج المجلس، وذلك لتعزيز فصل السلطة التنفيذية عن التشريعية.
5. في حال قيام المواطنين بانتخاب رئيس دولة يهودي، يكون على مجلس النواب، بحكم الدستور، أن ينتخب رئيس وزراء عربي. وفي حال قيام المواطنين بانتخاب رئيس دولة عربي، يكون على مجلس النواب، بحكم الدستور أيضاً، أن ينتخب رئيس وزراء يهودي.
6. تخصيص 25% من مقاعد مجلس النواب لمنظمات المجتمع المدني الرئيسية، تُوزع مناصفة بين المنظمات العربية واليهودية.
7. تحديد حد أعلى لما يمكن أن يشغله أي حزب في مجلس النواب، بنسبة لا تتجاوز 20%.
8. يكون من حق جميع اليهود الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية يوم إعلان الدولة أن يكونوا مواطنين في الدولة الجديدة.
9. يكون من حق جميع العرب الذين يعيشون في فلسطين يوم إعلان الدولة أن يكونوا مواطنين في الدولة الجديدة.
10. يكون من حق كل من ولد في فلسطين، ومن ولد أباه أو امه أو أحد أجداده أو جداته في فلسطين أن يعود إليها ويستقر فيها كمواطن. وهذا الحق لا يقتصر على العرب واليهود فقط، وإنما يشمل حملة كافة الجنسيات في العالم بلا استثناء.

11. يكون من حق كل من فقد بعض أو كل ممتلكاته في فلسطين منذ عام 1947 أن يستعيد تلك الممتلكات، كما يكون من حقه أن يؤجرها أو يبيعها لمن شاء من دون تدخل خارجي.

إن حل الدولة الواحدة كما جاء أعلاه، هو الحل الوحيد القادر على التغلب على كافة العقبات التي تعيق حل الدولتين: مشكلة القدس، حدود الدولة الفلسطينية، مطالب إسرائيل الامنية، المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية، وحق العودة بالنسبة للاجئين الفلسطينيين.

إن إعلان فلسطين وطناً مشتركاً لليهود والعرب الذين يدعون أن لهم حقاً فيها هو الحل الإنساني الوحيد للصراع الدائر على الأرض الفلسطينية. لقد عاش العرب واليهود في فلسطين كجيران في الماضي، ويمكنهم العيش جنباً إلى جنب في المستقبل. إن عرب فلسطين ويهودها يملكون رصيماً هائلاً من الكفاءات العلمية والخبرة العملية والعلاقات الدولية، ما يجعلهم، حين يتفرغوا للبناء، قادرين على تطوير اقتصاد ديناميكي وثقافة متنوعة متساحمة قد لا يكون لها مثيل في العالم.

وفي الواقع، ليس بإمكان اليهود أو العرب أن يستعيدوا إنسانيتهم وأن يحرروا أنفسهم من الكراهية والعداوة، وأن ينقذوا أطفالهم وأحفادهم من تسونامي التطرف الايديولوجي الذي يجتاح المنطقة إلا بالتعايش السلمي في وطن مشترك، وتقاسم السلطات. إن التطرف الديني والعنصري هو أخطر الأمراض التي تصيب الأمم والشعوب، لأنه لا يموت إلا حين يقضي على الجسد الذي يعيش فيه. لذلك علينا أن نعمل سوياً لتعزيز مناعة الجسم الفلسطيني بشقيه اليهودي والعربي كي يكون قادراً على مواجهة ذلك المرض اللعين، وتجاوز أحقاد الماضي وصولاً إلى سلام شامل.

الدكتور محمد ربيع أستاذ جامعي سابق، يحمل "لقب أستاذ متميز" في الاقتصاد السياسي الدولي. نشر أكثر من 40 كتاباً حتى الآن، بعضها بالإنجليزية وأكثرها بالعربية، تدل كتاباته ونشاطاته على التزامه بالسلم والحرية والعدالة الاجتماعية والتنمية البشرية، والحوار بين الشعوب المختلفة والثقافات المتباينة.

professorrabie@yahoo.com

www.yazour.com